الفصل الأول

الروح وماهيتها

obeikandl.com

obeikandl.com

ما هى الروح؟ هذا هو السؤال المهم. عندما يسألك أحد الأشخاص هذا السؤال، تتبادر الإجابة الجاهزة إلى ذهنك مباشرة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥). وهذه هى عادة حدود معرفتنا العامة عن ماهية الروح من المنطلق الدينى. والمعنى العلمى لهذه الآية أن الروح أمر يصعب على البشر أن يفهموه لأنه أكبر من علمهم وعقولهم، ومهما أوتى الإنسان من العلم لن يفهم حقيقة الروح، وهذا هو السر فى هذا الرد المقتضب حتى لا يقع الناس فى البلبلة والظنون وينشغلوا عن الدعوة الجديدة بأمور فلسفية. وقد ذهب المفسرون بعد ذلك إلى شتى التفاسير، فمنهم من قالوا: إن هذا الرد معناه نهى المسلمين عن الدراسة والعلم بهذه القضية، بينما ذهب الأكثر بأنها لم تنص على القول: (قل الروح من عند ربى) بل نصت: (من أمر ربى)، والفارق بينهما كبير وواضح، ومن هنا فلم يتوقف علماء المسلمين عن الكتابة والدراسة فى هذا الموضوع، من ذلك كتاب (الروح لابن سينا)، وكتاب (الروح لأبن القيم)، وعشرات الكتب على مر العصور.

والدراسة فى موضوع الروح واجبة، ومحاولة دراستها مجددًا من بعد علمى فلسفى جديد ضرورة. فالروح طبقًا للدراسات العلمية الحديثة هى طاقة فريدة من نوعها، فمن جهة هى توجد فى الجسد الإنسانى أو متحدة به بشكل أو بآخر سواء كانت متمركزة فى جزء منه مثل القلب أو الرأس أو الدم أو منتشرة فى الجسم كله (حسب الرأى السائد فى العصور والثقافات المختلفة)، أو مرافقة لجسد الإنسان ومرتبطة به بكيفية ما، إلا إنها فى الحالتين تخضع لعامل المكان،

بالرغم من إنها تبدو عمومًا إنها ليست مادية!! وليست هذه هى الخاصية المادية الوحيدة التى منحت للروح. فبالإضافة لإمكانية التواجد المكانى، فيفترض أن لها القدرة على التأثير فى الأجسام المادية. فوجودها يؤدى إلى تمتع الجسد بالحياة ومفارقتها للجسد يؤدى إلى موته.

ولكن بالرغم من هذه الخصائص المادية فيجب ألا يذهب ذهننا من الشرح السابق إلى أن الروح شىء مادى. بل يبدو أنها كائن ميتافيزيقى يتمتع بخصائص مادية فريدة ونادرة. فيبدو أن الروح قد تم إعفاءها بطريقة أو أخرى من الخضوع لعامل الزمن. فموت الجسد لا يعنى لها شىء بالمرة تبعًا للمفهوم المتعارف عليه عن الروح. فموت الجسد ناتج عن رحيلها عنه، فالجسد يحتاجها ليحيا، لكنها لا تحتاجه فى شىء. فالموت بالنسبة للروح طبق لهذا المفهوم هو مجرد أنفصال عن الجسد. وبالرغم من إختلاف مصير الروح بعد الموت فى العقائد والأديان والثقافات المختلفة، إلا أن المتفق عليه بينهم أنها لا تنتهى أبدًا، فهى تتعالى على الزمان فهى دائمًا وابدًا سرمدية لا تتأثر بمرور الزمن.

إذن فالتعريف الأولى للروح هى كائن شبه ميتافيزيقى وشبه مادى، تخضع للمكان ولا تخضع للزمان، تؤثر فى الجسم ولا تتأثر به، كينونة أثيرية تستعصى على الفهم فى ظل التناقض الذى يغلف أى تعريف خاص بها. إن البشرية فى عصورها الأولى توصلنا إلى المفهوم العام عن الروح عن طريق ملاحظة أن الجسد بعد الموت يتحول إلى تراب. وياله من تحول، لاشك أنه أستوقفهم كثيرًا للتفكير فى الشىء الذى فقده ذلك الجسد حتى صار تراب. وكذلك من السهل تشكيل أجساد بإستخدام عجين من التراب تتشابه كل الشبه مع الجسد الحى، مما طرح نفس التساؤل، (ما الشىء) الذى أفتقده هذا الجسد ليصير حيًا؟

وهنا جاءت الفكرة البسيطة الناشئة من ملاحظة الفرق بين الكائنات الحية

والجمادات المختلفة، بوجود «جوهر» ما مسئول عن هذا الفرق. والباحث فى الجذور اللغوية لكلمة «الروح» لن يخفى عليه الإشتقاق بين (روح) و(ريح) وكذلك بين (نفس) و(نفس)، ويبدو أن هذا التشابه فى المعانى موجود أيضًا فى لغات أخرى غير العربية. فنظرًا لأن التنفس هو أحد أهم مظاهر الحياة، فإشتقاق الكلمة جاء منه. فخروج ال «روح» هو انتهاء التنفس بكل ما يتضمنه من معانى. وحتى يتوفر لمفهوم الروح سند فكرى يدعمه، نشأت الأفكار الميتافيزيقية والاهوتية والدينية واحدة تلو الآخرى لتشرح ماهية ومشكلات الروح ومصيرها. وإزدادت الفكرة الأصلية تعقيدًا وبالتالى غموضًا. وأصبح هناك عالم ميتافيزيقى كامل يوازى عالمنا المادى. وكان هذا المنطق بالنسبة للقدماء هو منطق سليم يجيب عن معظم التساؤلات الخاصة بالروح بالنسبة اليهم.

هل تنشأ الروح فى الجنين من خارج الرحم والبويضة أم تنتقل إليه مباشرة مع الخلايا التناسلية؟ فلو إنها جاءت من الخارج، فما مصدرها بالتحديد؟ وهل الجنين يكون حى قبل وصولها إليه؟ وإذا كان حى، إذا ما الفائدة من وجودها بعد ذلك اذا؟ وإذا كانت الروح تنتقل من الخلايا التناسلية (البويضة والحيوان المنوى) فهى مادية أذن، لا بل يمكن دراستها بقوانين الوراثة الحديثة؟ إن كل هذه الأسئلة أسئلة فلسفية أفتراضية تتجه نحو مجال البحث العلمى للبحث عن إجابات علمية...

إننا نعرف علميًا الآن أن أنسجة الجسد لا تموت فى وقت واحد بل فى توالى، وهذا يجعلنا نسأل هل لكل خلية ولكل نسيج فى الجسد روح؟ وهل الروح تقبل التجزئ؟؟ وفى حالة نقل عضو من شخص لآخر هل تنتقل الروح مع العضو المنقول أم لا!! وكيف تظل هذه الأعضاء المنقولة حية بالرغم من وفاة أصحابها؟ هل يحق لنا أن نقول أن بعض الأرواح لها عمر أطول من عمر صاحبها لأن جزء منها أستمر فى الحياة بعد وفاته.

من المشكلات التى تنتج عن فكرة الروح أيضًا مفارقة زرع الأعضاء الصناعية فى الأجساد الحية، كي نفهم ـ فى ظل فكرة الروح المسيطرة على الجسد ـ أستبدال عضو حى (القلب مثلاً) بآلة ميكانيكية معدنية تؤدى وظيفتة. وكأنه من الممكن الإستغناء عن نسيج حى يحتوى على ثمة «روح» ما، وكذلك إمكانية زراعة الأنسجة فى المعمل، هل تنتقل الروح إلى مزرعة الخلايا مثلًا؟؟ أم هذه الأنسجه «حية» بدون «روح»!! فكيف نفسر إمكانية إطالة عمر هذا النسيج بالتبريد؟ هل الروح تتأثر بالتبريد؟

الأسئلة كثيرة والتناقضات أكثر فيما يخص فكرة الروح مما يجعل المتسائلين عن هذا الجوهر السحرى اللامادى المسمى «بالروح» فى موقف محير وغموض شديد مما يؤدى للبعض منهم إلى الإعتقاد فى ظواهر خارقة وإمكانية للتواصل مع الأرواح وتسخيرها لخدمة البشر وما إلى ذلك، فإنهم بذلك يضعون أنفسهم بتجاربهم الروحية هذه تحت الكثير من التساؤلات الجديرة بالبحث والدراسة.

علاقة الروح بالحياة

الحياة هى الأثر الذى يظهر فى الخلية الحية التى لا تكاد ترى إلا بالمجاهر المبكرة، هذه النطفة التى تناهت فى الصغر تحتوى على مادة لزجة تسمى بروتوبلازم، وقد حاول العلماء خلق البروتوبلازم الحى بأتحاد مختلف تراكيب الكربون، الماء، والضوء. وتحت مختلف الظروف الطبيعية والكيماوية والصناعية ولكنهم أخفقوا وإزدادو إيمانًا بوجود خالق قوة جبارة لهذه الخلية التى تعتبر وحدة الكائن الحى. ولذلك يعتقد الكثير من العلماء أن الروح (وهى سر الحياة) قد خرجت عن المجال المادى إلى مجال غير معلوم. وقد حاول بعض العلماء الزج بنفسه فى هذا المجال (أى مجال النقاش فى الروح)، فقال: أن الروح مادة. وإستدل على ذلك بأن وزن الإنسان فى آخر لحظات حياته

يختلف عن وزنه بعد مماته كما سبق أن ذكرت فى مقدمة هذا الكتاب. والنقص فى الوزن معناه خضوع الشىء لقوانين الوزن، إذن هو مادة. ولكن تفسير هذه الظاهرة قد تم بحثها مؤخرًا من جانب بعض العلماء المتخصصين وأرجعوا النقص فى وزن الإنسان المتوفى إلى أسباب متعددة منها:

١ ـ بمجرد الوفاة تنقبض الرئتان طاردة الأوكسجين للخارج مع الغازات الأخرى، وهذه الغازات لها وزن، وبخروجها ينقص الوزن.

٢ ـ من المعروف أن مراكز التحكم فى المخ تتحلل بعد الوفاة بثلاث دقائق وبالتأكيد هذه المراكز لها وزن وتحللها يعنى نقص الوزن.

وقد أنتقدت نظرية أن الروح مادة من جانب الكثير من العلماء والفلاسفة متساءلين: أنتم تقولون أن الروح مادة، والمادة تتصف بالحدود أى يمكن الحصول عليها كجسم مادى، هل يمكن أن تجسموا لنا الروح لنراها؟؟ بل لقد تمادى هؤلاء فى تساؤلاتهم بأنه مادامت الروح مادة كما يقولون، إذن هناك جينات تتحكم فيها وبالتالى هناك سلسة من البروتينات التى لها شفرات محددة تدخل فى إطار تكوينها. بل لقد طالبوا بتحليل هذه البروتينات المفترضة والداخلة فى تركيب الروح وتصنيع روح من هذه البروتينات. طبعًا هذه مطالبات تحمل معنى التعجيز والسخرية.

إن العالمان «يورى» و«ميللر» تمكنا من صنع مادة البروتوبلازم التى يطلق عليها (أصل الحياة) مؤخرًا. ولكن لم يستطعا أن يخلقا نسيج حى لعدم وجود سر الحياة معهما. لأنهما يجهلان كنه الروح فكيف يحصلان عليها، ومن ثم لا يمكن إيجاد نسيج حى. فى عام ١٩٥٩، أعلن العالم الروسى المشهور «أوبريان» رئيس معهد الكيمياء الحيويه بعد بحث مشكلة «الروح والحياة» لمدة ٢٧ عامًا وبعدها توصل إلى نتائج مذهلة مفادها: (أن الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم، وإن الحياة معقدة للإنسان والحيوان والنبات لابد أن تكون بدأت من حياة،

ولهذا يستحيل أن تخلق الحياة من لا حياة، أو تخلق مواد حية من مواد ميتة. فلا يمكن مثلًا تحويل الأحجار والرمال إلى إنسان ولو بعد ملايين السنين، هذا مستحيل كما يقول أوبريان).

بينما يقول العالم «توماس هكسلى» أن الحياة هى علة الأجسام، لا إنها نتيجة لها لإنه لا يصادف الباحث فى الأميبا (الكائن الحى ذو الخلية الواحدة) مهما استخدم من الآلات الدقيقة الحديثة التى يملكها العلم اليوم أى أثر للتركيب الجسمانى فيها. فأن هذه الأحياء لا شكل لها ومجردة من الأعضاء ومن الأجزاء المحدودة، ومع ذلك فأنها تمتلك الخصائص والمميزات الأصلية للحياة. حتى إنها تستطيع أن تبنى لنفسها قواقع ذات تراكيب معقدة أحيانًا، وعلى غاية ما يمكن من الجمال. فهذه الأميبا الحيوان العجيب الذى يبلغ من الصغر حد النهاية بحيث لا يرى إلا تحت المجهر، فإنها تتحرك ببطء فى ماء المستنقعات، وتتجه نحو كائن صغير فتحوطه بجسمها فإذا به داخلها، ويتم هضمه وتمثيله داخل جسمها الرقيق الشفاف، وحتى إننا نستطيع أن نشاهد عملية الهضم وعميلة خروج الفضلات من جسم الأميبا. ونستطيع أيضًا مشاهدة كيف ينشطر جسمه شطرين، ثم ينمو كل من هذين الشطرين ليكون حيوانًا جديدًا كاملًا. إن كل كائن حى ما هو إلا نموذج الخلية.

إذن تبعًا لأراء العلماء، فإن الروح موجود، والجدال فيه من حيث كونه مادة أو غير مادة، ويثبت هذا الوجود فى معظم الدراسات الحديثة أنه ليس وجودًا ماديًا إلى حد كبير. وبغض النظر عن كون الروح مادية أو غير مادية، فلا يمكن أن يتطابق جزء أساسيًا للحياة كالروح مع نصفه الثانى المكمل له والشديد التعقيد كجسم الإنسان مصادفة، فالروح متغلغلة فى كل جزئية من جزئياتة ويظهر ذلك جليًا عندما تتحلل أو تموت بعض من خلايا المخ (الخلايا العصبية أو مراكز

التحكم)، حيث نجد أن كل خلية لها حياة خاصة ولكنها تنسجم مع باقى الخلايا فى المخ التى عددها يتعدى مئات الملايين ومع باقى خلايا الجسد التى تتراوح بعشرات المليارات، وإذا ماتت خلية فإنها لا تعود إلى الحياة مرة أخرى. وفى ذلك يقول «هيجل» الفيلسوف الألمانى الشهير: (إن كل خلية لها روح تديرها ولكنك لا تشعر بوجودها).

أدلة على وجود الروح

يقول الأستاذ عبدالرازق نوفل فى كتابة القيم «أسرار الروح» عن أدلة وجود الروح أنه إذا عرفنا المادة بأنها كل ما هو موضوعى فلابد من الإعتراف بأن هناك فى الوجود شيئًا آخر غير المادة هو الوجه الآخر من الحقيقة الذى هو الذات. وتقودنا عملية الإدراك إلى إثبات أكيد بأن هناك شيئين فى كل لحظة.. الشىء المدرك والنفس المدركة خارجه. وما كنا نستطيع إدراك مرور الزمن لولا أن الجزء المدرك فينا يبقى على عتبة منفصلة وخارجة عن هذا المرور الزمنى المستمر. ولو كان إدراكنا يقفز مع عقرب الثوانى كل لحظة لما أستطعنا أن ندرك هذه الثوانى أبدًا، وإنه لقانون معروف أن الحركة لا يمكن رصدها إلا من خارجها. لا يمكن أن تدرك الحركة وأنت تتحرك معها فى الفلك نفسه.. وإنما لأبد لك من عتبة خارجية تقف عليها لترصدها. ولهذا تأتى عليك عليك لحظة وأنت فى مصعد لا تستطيع أن تعرف هل هو واقف أو متحرك لأنك أصبحت قطعة واحدة معه فى حركته. لا تستطيع إدراك هذه الحركة إلا إذا نظرت من باب المصعد إلى الرصيف الثابت فى الخارج.

وبالمثل لا يمكنك رصد الشمس وأنت فوقها ولكن يمكنك رصدها من القمر أو الأرض.. كما لا يمكنك رصد الأرض وأنت تسكن عليها وإنما تستطيع رصدها من القمر. وهكذا دائمًا.. لا تستطيع أن تحيط بحالة إلا إذا خرجت

خارجها. وأنت تدرك مرور الزمن لأبد أن تكون ذاتك المدركة خارج الزمن. وهى نتيجة مذهلة تثبت لنا بمنتهى البساطة وجود الروح أو الذات المدركة كوجود مستقل متعال على الزمن ومتجاوز له وخارج عنه.

فها نحن أمام حقيقة أنسانية جزء منها غارق فى الزمن ينصرم مع الزمن ويكبر معه ويشيخ معه ويهرم معه (وهو الجسد) وجزء منها خارج عن هذا الزمن يلاحظه من عتبة السكون ويدركه دون أن يتورط فيه، ولهذا فهو لا يكبر ولا يشيخ ولا يهرم ولا ينتهى، ويوم يسقط الجسد ترابًا، سوف يظل فى الغالب هو على حاله حيًا حياته الخاصة غير الزمنية، ولا نجد لهذا الجزء اسمًا غير الإسم الذى اطلقته الأديان وهو «الروح».

ونحن حين ندرك الجمال ونميزه عن القبح، وندرك الحق ونميزه عن الباطل، وندرك العدل ونميزه عن الظلم، فنحن فى كل مرة نقيس بمعيار منفصل عن الحادث الذى نقيسه، نقيس من العتبة نفسها، عتبة الروح. فالوجود الروحى يمثله فينا أيضًا الضمير ويدل عليه الإحساس بالجمال، وتدل عليه الحاسة الخفية التى تميز الحق من الباطل والزائف من الصحيح، وتدل عليه الحرية الداخلية، فالروح هى منطقة السريرة والحرية المطلقة والإختيار والتمييز.

وحينما نعيش حياتنا لا نضع إعتبارًا للموت ونتصرف فى كل لحظة دون أن نحسب حسابًا للموت، وننظر إلى الموت كأنه اللامعقول.. فنحن فى الواقع نفكر ونتصرف بهذه الأنا العميقة التى هى الروح والتى لا تعرف الموت بطبيعتها. فالموت بالنسبة للروح التى تعيش خارج نطاق الزمن، هو بالنسبة لها لا أكثر من تغيير ثوب، لا أكثر من إنتقال. أما الموت كفناء وكعدم هو أمر لا تعرفه، هى أبدًا ودائمًا كانت حالة حضور كما يذكر الأستاذ عبدالرازق نوفل فى كتابه عن الروح. إن حالة الحضور هذه هى حالة شخوص، إنها كانت دائمًا هنا. إنها الحضرة المستمرة التى لم ولا يطرأ عليها طارئ الزوال، وكل

ما سوف يحدث لها بالموت إنها سوف تخلع الثوب الجسدى الترابى. وكما تقول الصوفية تلبس الثوب البرزخى، ثم تخلع الثوب البرزخى لتلبس الثوب الملكوتى، ثم تخلع الثوب الملكوتى لتلبس الثوب الجبروتى، منتقلة من درجة إلى درجة ارتفاعًا إلى خالقها.

إن كل روح بقدر صفائها وشفافيتها وقدرتها على التحليق، على حين تتهابط الأرواح الكثيفة إلى ظلمات سحيقة وتنقضى عليها الآباد وهى تحاول الخلاص. هذه هى مشاهدات الصوفيين كما ذكرها الدكتور مصطفى محمود فى كتابه «رحلتى من الشك إلى اليقين» والذى يعتقد أن مشاهداتهم الصوفية هذه عن الروح يمكن أن تضيع من يتعمق فيها إلى آفاق التيه.

وبنفس المعنى السابق يقول العالم العربى الجليل «الفارابى»: (إن الروح الذى لك من جوهر عالم الأمر.. ولا يتعين بإشارة ولا يتردد بين سكون وحركة، فبذلك تدرك المعلوم الذى فات، والمنتظر الذى هو آت، وتسبح فى عالم الملكوت وتنتقش من خاتم الجبروت). ويقول «ابن سينا»: (تأمل أيها العاقل فى أنك اليوم فى نفسك هو الذى كان موجودًا فى جميع عمرك حتى إنك تتذكر كثيرًا مما جرى من أحوالك. فأنت إذن ثابت مستمر ولا شك فى ذلك وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتًا مستمرًا بل هو بدأ فى التحلل والانتقاض، ولهذا يحتاج الإنسان إلى الغذاء بدل من تحلل بدنه... روحه، ذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزاؤه الظاهرة والباطنة).

هل الروح هى الجسم الأثيرى؟

منذ عشرات السنين والأطباء والعلماء فى حيرة من أمرهم، حيث لاحظوا إن من بترت أعضائهم أو فقدوا لسبب ما بعض اجزاء من أجسادهم يشعرون بوجودها، شعورًا لطيفًا هادئًا ولكنه قوى وواضح، ومما أدهش العلماء أنهم

وجدوا بالملاحظة أن الإنسان يحس بالحرارة والبرودة فى موضع العضو المبتور بل ويحاولون كثيرًا حك مكان هذا البتر إذا ما ألح عليهم الأمر رغبة فى حكه وإنهم يشعرون بالرحة إذا ما استجابوا لهذه الرغبة، وظهر للعلماء أيضًا أن هذا الشعور لا ينفك عنهم، كما أنه ليس له أى علاقة بالعوامل النفسية أو العصبية اللذان أرجعوا لهما هذا الشعور فى بادئ الأمر ولما تعددت هذه الملاحظات وأثبتها الأطباء فى مختلف أنحاء العالم، كانت هذه أحد الدوافع التى دفعت بالعلماء فى روسيا لدراسة أثر البتر الجزئى على المادة الكاملة. لقد توصل العالم الروسى «كيرليان» إلى أستحداث جهاز ضوئى بدأ الدراسة به على النبات، عرض ورقة نبات كاملة على الجهاز وصورها ثم قطع ما يوازى ثلث مساحة الورقة، وأخذ لها عدة صور ضوئية، فظهرت الصور كاملة من الناحية الضوئية بها الأجزاء الموجودة والجزء المقطوع مع إختلاف بسيط فى الشكل بين ذلك وذاك. وقد واصل «كيرليان» أبحاثه مع مساعديه، وبعد تطوير أجهزته لمدة ٢٥ عامًا وصل إلى حقيقة تقول: «بالنسبة للأجسام الحية، تتمكن من رؤية الحالة الداخلية للتركيب العضوى منعكسة على لمعان وعتمة وألوان هذه الإلتماعات والإنعكاسات. إن النشاط الداخلى للكائن الحى مسجل على هذه الأضواء. لقد توصل هذا العالم إلى أبتكار جهاز يسجل هذه اللغة الضوئية لكننا نحتاج إلى عوامل أخرى مساعدة حتى نستطيع قراءة هذه اللغة». هذا ما جاءت به الأنباء العلمية التى نشرت مؤخرًا بالمجلات البحثية المتخصصة. لقد توصلت هذه الأبحاث أن الإنسان له جسم أثيرى أمكن تصويره، وأن هذا الجسم هو جسد الروح التى هى من طاقة نورانية محددة، وهذه ليست تخيلات أو أرهاصات، بل إنها نتيجة حقائق علمية مثبتة ومصورة صوتًا وصورة بمعامل البحث العلمى المتخصصة.

إرتباط الروح بالجسد

لقد تقد العلم فى الآونة الأخيرة تقدمًا مذهلًا فى مجال دراسات الجسد والروح، وإكتشفت وسائل جديدة للبحث والدراسة فى هذا المجال. إتخذ العلم التجريبى وعلى رأسه فروع علم الطب المختلفة قراره بأن الروح أهم من الجسد، وإنها المسئولة عن حياته، بل هى سبب حياته، لقد إكتشف العلم الحديث إن هناك خطأ متداول وشائعًا من أن وفاة الإنسان إنما تتم لخلل طارئ على أى عضو هام من أعضاء الجسد، كتلف فى القلب أو توقف فى الرئة أو فساد بالكلى، يموت الإنسان لأن دورة الحياة فيه لم تعد تتم. ولكن العلم يتوقف عند سؤال مهم: ما هو سبب الموت المفاجئ؟ لا يجد العلم ردًا على هذا السؤال. فإذا كان الطب قد عرف الأسباب فى الحالات الأولى حيث توجد الظواهر والعلل، فما هى أسباب الموت فى الحالات الأخرى، لا سيما فيها الإنسان يكون فى أتم حالاته الصحية. التفسير الدينى المتعارف علية طبعًا أنها لاشك أولًا وأخيرًا أنها إرادة الله سبحانه وتعالى. ولكن ما هو التفسير العلمى والطبى لذلك؟

أنه أمرًا محيرًا أن يزداد الإنسان جهلًا بمعرفته بنفسه كلما إتسعت معلوماته عنه وزادت دراسته له. لقد أثبت الدكتور «ألكسيس كاريل» فى كتابه «الإنسان ذلك المجهول» وهو على حق فى هذا الشأن إذ يقول: «الواقع أن جهلنا مطبق، فأكثر الأسئلة التى يطرحها من يدرس التكوين الإنسانى جسدًا وروحًا بقيت دون جواب، ولا تزال مناطق شاسعة من عالمنا الداخلى غير معلومة. كيف تتوافق جزئيات المواد الكيميائية فيما بينها لتكوين الأعضاء المعقدة الإنتقالية للخلايا. كيف تحدد الموروثات التى تحتوى عليها نواة البويضة المخصبة مميزات الفرد الذى ينبثق من هذه البويضة؟ كى تنتظم الخلايا من تلقاء نفسها فى جماعات هى الأنسجة والأعضاء؟ كأنها تعرف مقدمًا ما هو الدور الذى ينبغى لها أن تلعبه فى حياة الجماعة.

ولكننا نجهل الآليات التى تعينها على بناء كائن عضوى معقد وبسيط معًا. ما هى طبيعة عمر الكائن الإنسانى والزمن السيكولوجى؟ نحن نعرف أننا نتكون من أنسجة وأعضاء وسوائل وشعور ولكن العلاقات التى تربط بين الشعور والخلايا المخية لازالت سرًا غامضًا. بل إننا نجهل فسيولوجية هذه الخلايا. إلى أى حد يمكن أن يتغير الكائن الحى بعقل الإرادة؟

تاريخ إكتشاف وجود الروح

إن أول سطور كتبها الإنسان منذ بدأ التاريخ، وأمكن العثور عليها فى الآثار المختلفة أو فى أوراق البرديات المكتشفة تقرر إيمانه الراسخ، وتذكر يقينه الكامل بوجود روح. وأن الإنسان، كل إنسان إنما يتكون من جسد وروح. والروح كانت عنده ولديه أهم من الجسد، والطقوس والعادات التى كانت تتم عند المولد وعند الموت كلها تشير إلى إهتمام الإنسان الفطرى بالروح. ومما يؤكد معرفة الإنسان لوجود الروح منذ فجر التاريخ حتى الآن هو معرفة الطفل قبل أن يلقن العلم أو يحاط بالمعرفة بأن له روحًا يميزها ويذكرها ويتحدث عنها. حتى فى المجتمعات البدائية وبين العامة من الناس حتى الجاهلة الغير متعلمة منها، إذ تجدهم يؤمنون بالروح. ولذلك نجد أنه يتوارد فى أحاديثهم إنهم يحبون فى غيرهم الروح وكذلك يتكرر منهم القول بأن هذا روحه مألوفة وهذا روحه صافية.

وهكذا نجد الإنسان منذ قديم الأزل، والطفل فى أولى مراحل حياته، والمجتمعات منذ قيامها، وكل من هم على الفطرة يؤمنون إيمانًا ليس فيه شك فى وجود الروح، مما يؤكد على أن الأيمان بالروح موروث فطريًا. ويرى الإنسان أنه كغيره من الناس يتكون من هذا الجسد الذى يرى غيره فيه ويراه به غير جسد ككل الأجساد لا خلاف فيه إطلاقًا، داخليًا أو خارجيًا إلا من بعض الملامح الشكلية كدرجة اللون وقدر الطول. إلا إننا نجد أن الإنسان يميل إلى

إنسان معين ولا يميل إلى إنسان آخر. فالشعور الداخلى للإنسان يجذبه إلى فرد معين ولا يجذبه إلى غيره، والإحساس يتماثل، وهذا الذى لا يميل إليه أو يهفو له نجد غيره يميل إليه ويهفو له. مما يؤكد وجود شىء غير الجسد هو المؤثر والمتأثر. وهذا الشىء لاشك إنه الروح.

لقد توصل الحكماء ومن استخدموا العقل فى أبحاثهم إلى أن الإنسان عندما يتحدث عن شخصه ويقول أنا، فأنا هذه ليست الكبد أو القلب أو القدم أو اليد، بل ليست الجسد بأكمله، ولكنها تشير إلى شىء آخر، إلى قوة كامنة ليست عضلية، ومعرفة واضحة غير جسدية، وكذلك إن حركة الإنسان الظاهرية وإن كانت حركة الجسد، فإن وراء هذه الحركة إرادة إنبعثت، ورغبة وضحت، ولا يمكن أن يكون مرجع ذلك العقل أو المخ. فإن فى النوم لا يغيب العقل، بدليل إستمرار عمله اثناءه. ولا ينعدم المخ بدليل تواصل إشتغاله فى اليقظة والنوم، ولا يختفى الجسد، إذ هو واضح لكل ما يبصره أو يراه، إن شىء لم يتغير فى الإنسان، فأين إذا الحركة وأين الرغبة وأين الإرادة؟ الإجابة هى: إنها الروح...

علاقة الروح بالكون

يقول الدكتور «نبيل طعمة» فى كتابه «الإنسان والروح والتاريخ» بأن الإنسان كائن روحى ظهر مع ظهور الحياة الحية، أى مع الطبيعة: نباتها وحيوانها وجمادها، وبدقة أكثر يتكون الإنسان من مجموع الخلايا الحية، لأن الكون حى والخلايا تتجدد، أى أن لها عمرًا ينتهى بأنتهاء الحياة، فإذا كان الكلى هو الكون، ، فالإنسان نسبة ضئيلة منه، تعادل الذرة، تتجدد بالإستمرارية النطافية، أى أن الإنسان كائن ترابى يبدأ منه وينتهى إليه. إن الإنسان يبحث دائمًا طوال حياته عن أسرار الروح وماهيتها، يسأل عنها ليل نهار، وطيلة رحلة حياتة والتى تتحرك فى داخل الأشياء الحية، أى ضمن الجوهر الذى يمنحنا فرصة تكوين سؤال مهم، وهو الروح وعلمها من أمر المكون الكلى، وهل هى، أى: الروح

فى كليتها الموزعة على الأحياء من خلال «فنفخنا فيه من روحنا» أى كل حى ضمنه جزء منه، أى الآله الواحد الآحد.

ما معنى معادلة الماء والتراب؟ اليس الإنتاج نتاج معادلتها. هل تأملنا بذرة النبات وتعدد أنواعها، كيف هى تزرع فى التراب وتسقى بالماء فتنتج الألوان وإختلاف الثمار بإختلاف البذور؟ لقد حق إذن أن الإنسان من الناحية العلمية مصنوع من مادة ترابية ممزوجة بالماء (من طين)، وهذا ما أجزنا به المقدس، ودليلنا أنه حين فنائه نراه ترابًا، أى يعود إليه وتشكيله يشبه الكوكب الحى من حيث التركيب، ٧٠٪ ماء، ٣٠٪ مادة مكونة من لحم وعظم وأنسجة أخرى.

إذن ما هو سر الروح؟ لقد حاول العلماء مراقبتها كما سبق أن ذكرت، بل قاموا بدراسة وزنها، فحاولوا رؤيتها بأدق المجاهر والكاميرات لكن لم يستطع أى عالم حتى اللحظة أن يدركها، فهل هى النفخة المقدسة كما ذكرها التفسير الدينى. هل وصلنا إلى جوهر الروح؟ وهل سيتمكن العلم الحديث من قياسها أو معايرتها عبر الحصول على عينة منها؟ وسؤال آخر هام: كي تقف الروح عن العمل فى الكائنات الحية وكيف تعمل أيضًا؟ لقد حاول العلماء مؤخرًا إنتاج جنين، حينما هيئوا رحمًا صناعيًا دقيقًا مودعين فيه بيضة ملقحة وراقبوا عملية إستقرارها على جداره الداخلى معتبرين نجاح عملية التلقيح، وربطوا ذلك الجنين بحبل سرى مصنع زود بذات المادة اللبنية القادمة من الأم الحامل لتغذيته، كما هو الحال تمامًا فى رحم الأنثى البشرية، وكان فى أعتقادهم أنهم نجحوا من خلال المتابعة بأجهزة الفحص الدقيقة التى انبأتهم عن كبر حجم الجنين المزروع وارتجاجه فى الرحم، وبعد تسعة أشهر كشف عليه، وإذا بكتلة مخاطية نتنة كريهة تظهر!! ما هو سر هذه العملية التى فشلت؟ ماذا يعنى لنا ذلك؟

هل تنتقل الجينات محدثة الإستمرار الفكرى والنفسى والروحى؟ وهل الكلى هو المجموع الذرى للحياة الكونية الحاملة للخلايا، تدور بها النيوترونات والبروتونات والإلكترونات التى لا تفنى أبد الدهر، تحيا فى الفراغ الكونى على شكل مجموع وتدخل فى الأحياء، نسب منها هى التى تدخل وتخرج، أى تبقى حية أبد الدهر، فتكون بذلك أشكال الروح أو أساسًا مؤسسًا لها، والإنسان المتشكل منها والحامل لها، حيث تمنحه قوة الحيوية والنشاط كما تمنح النبات والحيوان.

إن الكثير من الفلاسفة والعلماء يعتقدون أن الكلى يسكن كل حى من باب «بناء الماديات». فالإنسان الذى يبنى منزلًا لا تظهر الحياة فيه إلا إذا دخله الإنسان، وكذلك البناء الإنسانى المحتوى على قيمتة أو نسبة أو جزء من الكلى الذى نطلق عليه (الإله)، وحينما نمسك بالجوهر يسهل جدًا فهم المظهر. هذا الجوهر هو الروح أو الطاقة الكامنة داخل البناء الجسدى للإنسان والتى تكون جزءًا من الكلى.

الإثبات العلمى لوجود الروح

لم يتمكن العلم حتى الآن من أثبات وجود الروح بصورة قاطعة. ولكن عدم نجاح العلم حتى الآن فى برهنة وجود الروح بصورة علمية محضة لايعنى إطلاقًا أنها غير موجودة، الإشعاعات الكونية القادمة من عالم الفضاء والتى تتساقط على كوكبنا من ملايين السنين كانت موجودة دائمًا وأبدًا قبل أن يتوصل العلماء إلى برهنتها، كما أن أشعة «رونتجن» كانت موجودة دائمًا وأبدًا قبل أن يتوصل العلماء إلى برهنتها وقبل أن يتوصل العالم الفيزيائى من إثباتها والتوصل إلى جعلها مرئية. إن جو الأرض مشبع بملايين الأنغام الموسيقية التى تبثها إذاعات العالم، وكذلك صور محطات التليفزيون المختلفة، لكن هذه الأنغام والصور لا يمكننا التحقق منها إلا عن طريق

جهازى الراديو والتليفزيون، وهناك أصوات لا يمكننا سماعها وكذلك أضواء لا يمكن مشاهدتها وهى موجودة مع ذلك.

إن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: هل ينقصنا يا ترى جهاز القياس الخصوصى الذى يصور لنا ما نسميه (الروح) أو (النفس)؟. لقد توصل المهندس الروسى «كيرليان» كما سبق أن ذكرت بواسطة جهاز إستقبال فنى جديد، إلى جعل الطاقات الإشعاعية التى تندفع من أجسام الكائنات الحية تبدو مرئية... بل إن (صورة كيرليان) التى إبتدعها المهندس تسمح برؤية أجسام عضوية لم تعد موجودة أصلًا.. فقد ظهر على (صورة كيرليان) شخص بساقيه العاديتين علمًا بأن إحدى ساقيه كانت قد بترت سابقًا!!

وخطا كيرليان خطوة أخرى هامة إلى الأمام، لقد تمكن من الإثبات إنه فى لحظة موت حيوان الإختبار تغادر شرارات الطاقة الجسدية الجسد المادى ببطء وتنطفئ، فهل كانت تلك الشرارات ما نسميه (الروح)؟

يتضح من مناقشتنا فى هذا الفصل لماهية الروح أنه تلخيصًا لكل هذه التفسيرات، فإن الروح عبارة عن مصطلح ذى طابع دينى وفلسفى يختلف تعريفه وتحديد ماهيته فى الأديان والفلسفات المختلفة، ولكن هناك إجماع على أن الروح عبارة عن ذات قائمة بنفسها، ذات طبيعة معنوية غير ملموسة. ويعتبرها البعض مادة اثيريه أصلية من الخصائص الفريدة للكائنات الحية واستنادًا إلى بعض الديانات والفلسفات فإن الروح مخلوقة من جنس لا نظير له فى عالم الموجودات وهو أساس الإدراك والوعى والشعور. وتختلف الروح عن النفس حسب الإعتقادات الدينية، البعض يرى النفس هى الروح والجسد مجتمعين ويرى البعض الآخر إن النفس قد تكون أو لا تكون خالدة ولكن الروح خالدة حتى بعد موت الجسد.

مقوله شهيرة قالها أحد الحكماء عن الروح:

«تخرج الروح من الجسد كما يخرج الفرخ من البيضة،
فالجسد يتمزق كما تمزق قشر البيضة،
وتبقى الروح فى عالم الأرواح حية،
تبصر وتسمع وتأكل وتشرب».

obeikandl.com